University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الأول – ديسمبر 2014

ظهور الدعوة الموحدية على مسرح الأحداث الدينية والسياسية في بلاد المغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي

د. محمد سعيد بوحليقة

(محاضر بجامعة بنغازي قسم التاريخ / كلية الآداب والعلوم – اجدابيا)

ظهور الدعوة الموحدية على مسرح الأحداث الدينية و السياسية في بلاد المغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي

ملخص

يحفل تاريخ بلاد المغرب الإسلامي بالعديد من الحوادث الهامة الدينية والسياسية كان لها دور حاسم في تغيير تاريخ هذه البلاد ومن بين الدول التي كان لها التأثير على التاريخ في هذه البلاد الدولة الموحدية التي ظهرت كدعوة دينية إصلاحية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعصمة الإمام فلما كثر أتباعها وأنصارها أخذ إلى التطلع إلى السيطرة السياسية وتكوين دولة على المبادي التي وضعها صاحب هذه الدعوة.

وقد كان لمؤسسها دور كبير في جذب الأنصار والمؤيدين فكون جيشا للقضاء على دولة المرابطين جعل على مقدمته تلميذه عبد المؤمن الذي تمكن بعد جهود مضنية من إقامة الدولة وتوسيع رقعتها لتشمل المغرب بأجزائه الثلاث.

كلمات مفتاحية: الموحدين، المهدي محمد بن تومرت، المغرب الاسلامي، المرابطين.

المقدمـــــة

يحفل تاريخ بلاد المغرب الإسلامي بالعديد من الحوادث الهامة الدينية والسياسية كان لها دور حاسم في تغيير تاريخ هذه البلاد،وقد كان الدين في كثير من الأحيان المطية السياسية لمن يتطلعون إلى الحكم فيبدأ بالإصلاح الديني ثم ما يلبث أن ينتهي به هذا الإصلاح إلى تقلد الأمور السياسية في نهاية المطاف.

لذا نري أن الدولة الموحدية بدأت كدعوة دينية إصلاحية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعصمة الإمام فلما كثر أتباعها وأنصارها أخذ إلى التطلع إلى السيطرة السياسية وتكوين دولة على المبادي التي وضعها صاحب هذه الدعوة.

ومن هنا جاء اختيارنا لموضوع ظهور الدعوة الموحدية على مسرح الأحداث الدينية والسياسية في بلاد المغرب الإسلامي لدراسة بداية ظهور هذه الدعوة في بلاد المغرب الإسلامي وكيف انتشرت ومدت نفوذها.

وهنا يجب التنويه على أن هذه الدولة بدأت في بدايتها كحركة دينية هدفها الإصلاح الديني بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن الحقيقة هي أن الهدف من هذا الإصلاح تكوين دولة على هذه المبادي فالغرض من الإصلاح كسب الأنصار والمؤيدين في المدن المغربية المختلفة، ومما يدل هذا التستر بالدين ما حدث بين ابن تومرت والغزالي عندما طلب أن يدعوا الله أن تكون نهاية المرابطين على يديه.لذا فقد حاولنا أن نظهر كيف بدأت هذه الحركة كحركة دينية للإصلاح ،ثم تحولت إلى القتال وتكوين هيئة سياسية تكون نواة دولة قوية في المغرب الإسلامي.

أما منهجنا في هذه الدراسة فقد استخدمنا منهج سرد الإحداث التاريخية مع التحليل الإحداث ومقارنتها. وقد قسمنا البحث إلى عنصرين تحدثنا في الأول عن الدعوة في عهد مؤسسها محمد بن تومرت. وفي الثاني تكلمنا عن جهود الأمير عبد المؤمن في إقامتها بالمغرب الأقصى.

- ظهور محمد بن تومرت (المهدي) ونشر دعوته في بلاد المغرب

تنسب الدولة الموحدية إلى محمد بن تومرت يكنى بأبي عبد الله ويلقب بالمهدي عرف عند البعض باسم الفقيه السوسى ولد في (سنة 473هـ/1081م) بقرية إيجلى[1] من بلاد السوس وينتمي إلى قبيلة مصمودة[2] اختلف المؤرخون في نسبه فمنهم من جعله عربيا ومنهم من جعله بربريا ومنهم من مزج بين النسبين.[3]

1- يري بعض المؤرخين أن هذه المدينة هي جيليز الحالية: راجع: صالح صادق السباني، ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2006 ، ص82 ؛ الفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، 1990 ، ط3 ، ص251.

2- محمد كمال شبانه ، الدويلات الإسلامية في المغرب دراسة تاريخية حضارية ، القاهرة ، دار العالم العربي ، ب.ت ، ص57-58.

3- أمراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، بنغازي ، جامعة قاريونس ، 1988 ، ص160-163 ؛ أمراجع عقيلة الغنى ، سقوط دولة الموحدين ، بنغازي ، جامعة قاريونس ، 1988 ، ص35-36.

عاش في أسرة غير بارزة من أواسط القوم تميزت بمكانة وبيئة علمية حيث تلقى ابن تومرت تعليمه في الكتاتيب بقريته حيث حفظ القرآن وتعلم شيئا من العلوم الشرعية وأظهر خلال هذه المرحلة اهتماما وشغفا بطلب العلم.[4]

ويرى البعض أن تاريخ الدعوة الموحدية يبدأ بالرحلة التي قام بها ابن تومرت إلى المشرق الإسلامي طلبا للعلم والتي دامت خمسة عشر عاماً كان لها الأثر في تشكيل شخصيته والتأثير في آرائه وأفكاره. فقد تتلمذ ابن تومرت على يد علماء كثر في المهدية ومصر والحجاز والعراق ومنهم المازري والطرطوسي والغزالي والشاشي وغيرهم.[5] وقد ذكر ابن خلدون أن ابن تومرت لما دخل العراق وجد بها الكثير من العلماء "وفحول النظار وأفاد علماً واسعاً وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده لما كان الكهان والحزاء يتحينون ظهور دولة يومئذ بالمغرب".[6]

أخذت هذه الرحلة طابعها الثوري بعد ذلك عندما كان في طريق عودته إلى بلاده.[7] فعاد وهو يظن نفسه مبعوثاً لإصلاح أحوال الأمة فكان خلال رحلته إلى وطنه يجلس لوعظ الناس وإرشادهم إلى الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكانت مدينة الإسكندرية أول مدينة يحط الرحال بها عند عودته من الحجاز لكنه طرد منها بسبب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.[8]

اتخذ ابن تومرت مما اعتبره مفاسد الطبقة العليا مادة لوعظه وهدفا لدعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما أدى إلى كثرة أتباعه.[9] والحقيقة هي أن هذه الرحلة في الذهاب والإياب قد فتحت عينيه على أحوال المسلمين السياسية ومدى انقسامهم وضعف الخلافة العباسية مما جعله عازما على إنشاء دولة إسلامية تحقق الوحدة الإسلامية تحت خلافة موحدة فبدأ لتحقيق هذا الغرض دوره كمصلح ديني في طريق عودته إلى المغرب من رحلته من أجل تغيير المفاسد

4- عبد المجيد النجار ، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري ، فرجينيا ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995، ط2، ص57-58. للمزيد عن مؤسس هذه الدولة راجع البيذق: أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط ، دار المنصور ، 1971 ، ص11وما بعدها ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فأس ، الرباط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، 1972 ، ص172-173 ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف أندلسي من القرن الثامن الهجري ، تحقيق د. سهيل زكار وعبد القادر زمامه، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ، 2001 ، ص103؛ الزركشي:أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور، تونس ، المكتبة العتيقة ، 1966 ، ط2 ، ص3 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص45-55 ؛ المراكشي: محيى الدين عبد الواحد بن علي التميمي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزت ، طرابلس ، دار الفرجاني ، 1994 ، ص178-179 ؛ عبد المجيد النجار ، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة 524هـ 1129م حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب،بيروت،دار الغرب الإسلامي، 1983،ص23-61؛ليفي بروفنسال،الإسلام في المغرب والأندلس،ترجمة د. السيد محمود عبد العزيز السالم ود.محمد صلاح حلمي،الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة،1990، ص265.

5- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي دولة الموحدين ، القاهرة ، دار ابن الجوزي ، 2007 ، ص11 .

6- ابن خلدون:عبد الرحمن محمد ، تاريخ ابن خلدون المسمي بكتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق د.خليل شحادة مراجعة د. سهيل زكار ، ج6 ، بيروت، دار الفكر ، 2000 ، ص301-302 .

7- ابتسام مرعي خلف الله ، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي (524-936هـ/1130-1529م) ، القاهرة ، دار المعارف ، 1985 ، ص47-48 .

8- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص20.

9- عز الدين عمر موسي ، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم ، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، 1991 ، ص36-38 .

التي رآها بنفسه مما عرضه لسخط الحكام الذين رأوا في حركته خطراً يهدد مصالحهم ومناصبهم.[10]

كانت مدينة طرابلس أول المدن التي استقر بها في بلاد المغرب بعد عودته من المشرق حيث ركب البحر من الإسكندرية وحطت به الرحلة في طرابلس حيث بدأ في إلقاء دروسه بها وبدأ في تطبيق المبدأ الذي جعله شعاراً دينياً لحركته الإصلاحية.[11] ويذكر ابن خلدون أن ابن تومرت قد درس في طرابلس محاولاً نشر مبادي دعوته "حتى لقي بسبب ذلك أذيات في نفسه، احتسبها من صالح عمله".[12] ويذكر التليسي أن ابن تومرت عند مروره بالمدينة نزل بأحد مساجدها ويسمي مسجد العشرة يقع بين الباب الأخضر وباب البحر" وقد اشتهر بنزول أبن تومرت به عند مروره باطرابلس".[13] ولا ندري على أي المصادر اعتمد المؤلف في كلامه هذا.

ومن هذا المدينة انطلق ابن تومرت إلى المهدية ثم تونس والمنستير حيث أخذ ينشر دعوته الدينية في هذه المناطق وكان دائما يقع في خلافات مع علماء هذه المدن مما ينتهي به المطاف إلى الطرد.[14]

ومن أهم المبادى الإصلاحية التي كان ابن تومرت ينادي بها في دعوته ما يلي:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عمل ابن تومرت في كل مكان حل به بهذه الدعوة مما أكسبه حب العامة وقد حقق من خلالها لفت أنظار الناس إليه في المدن التي ينزل بها مما جعل الكثير يعده من المصلحين. وتمكن من خلالها من تكوين قاعدة كبيرة من الأتباع والمعجبين بشخصه فقد ذكر أن أتباع ابن تومرت في مصر أكثر من خمسين رجلاً كلهم سامعاً مطيعاً "كانا له مثل أعضائه وجسده سامعين لقوله مجيبين لأمره مؤمنين به".[15]

ويبدو أن جرأة ابن تومرت في الكلام وتظاهره بهذا المبدأ ومخاطبته لعامة الناس كانت من العوامل المهمة في نجاح دعوته وتجمع الناس من حوله نظراً لتوجهه الإصلاحي ومخاطبته للعامة وإنكاره على الحكام الذين يمر بهم مما أكسبه الجرأة والمكانة عند الناس.[16]

10- حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1980 ، ص35 .

11- سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي الموحدون مصامدة السوس الجباليون ورثة المرابطين تأسيس الدولة وقيامها (500-558هـ/1100-1163م) ،ج5 ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 2000 ، ص 136 .

12- ابن خلدون ، ج6 ، ص 302 .

13- خليفة محمد التليسي ، حكاية مدينة طرابلس لدي الرحالة العرب والأجانب ، ليبيا- تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1997 ، ط3 ، ص35- 36 .

14- ابن الأثير : عز الدين على بن أبى الكرم ، الكامل في التاريخ ، تحقيق خيري سعيد، ج9 ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، ب.ت ، ص 202-203 ؛ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق حسين نصار مراجعة عبد العزيز الأهوانى ، ج24 ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1983 ، ص277-279 ؛ البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص40 ؛ ابن خلدون ، ج6 ، ص 302 ؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس(عصر المرابطين وبداية الموحدين)، ج4 ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2001 ، ص 164-165.

15- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص24 .

16- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص24-25 .

ولعل ابن تومرت قد لجأ الى هذا المبدأ راجياً أن تتحقق دعوة الإمام الغزالي على المرابطين بعد أن احرقوا كتابه بزوال دولتهم وأن يكون الزوال على يدية.[17] مما جعل رحلته عند عودته تتسم بطابع المصلح الذي يغير ما أمكنه تغييره بالقول والفعل.

عصمة الإمام: حيث ادعى ابن تومرت أنه المهدي الذي بشر به الرسول (ﷺ) وهو من سيظهر العدل في الأرض بعد أن يعمها الجور وقد حاول التدرج في بداية الأمر ليظهر لأصحابه أنه المعصوم، حيث بدأ بالتلميح ثم صرح لهم أنه المهدي المعصوم وروي لهم أحاديث كثيرة كذب فيها ليثبت أنها تتمثل فيه.[18] وقد ذكر هو في كتابه أن الإمام لابد أن يكون معصوماً حتى يتمكن من إصلاح المفاسد وينشر العدل.[19]

فقد أورد ابن القطان خطبته التي أعلن فيها لأصحابه عصمته فيقول: "الحمد لله الفعل لما يريد، القاضي بما يشاء لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل وأزيل العدل بالجور مكانه بالمغرب الأقصى، وزمنه آخر الزمان، واسمه اسم للنبي عليه الصلاة والسلام، ونسبه نسب النبي صلي الله تعالي وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم. وقد ظهر جور الأمراء، وامتلأت الأرض بالفساد، وهذا آخر الزمان، والاسم الاسم، والنسب النسب، والفعل الفعل".[20] فلما انتهي من خطبته قام إلية العشرة المقربون منه وقالوا له أن الصفة لا توجد إلا عنده وبايعوه على هذا الأمر.[21] لذلك نري انه ادعي عروبة النسب حتى يتمكن من إقناع الناس بأنه المعصوم وفي هذا يذكر ابن العماد: " ... جرّه إقدامه وجرأته على حب الرياسة والظهور وارتكاب المحظور ودعوى الكذب والزور من أنه حسني وهو هرغي بربري وانه معصوم وهو بالإجماع مخضوم".[22]

بدأ ابن تومرت في التخطيط السياسي لإنجاح عمله في المرحلة الأولى حيث بدأ في تكوين الخلية الأولى لهذه الحركة وكان عبد المؤمن بن على أساسها وكان قد التقى به بالقرب من مدينة ملالة[23] عند بجاية حيث رافقه إلى المغرب الأقصى مع بعض الأشخاص وذلك لما أقنعه بالتوجه معه بدلا من الذهاب إلى المشرق لطلب العلم بعد أن وجد فيه علامات الذكاء وصفات النبوغ وملامح الفطنة.[24]

كان ابن تومرت كلما مر على قرية أو مدينة يدعو أهلها إلى الابتعاد عن المنكر وإلى إقامة الصلاة ويزور المساجد حيث يلقى بها الدروس للطلاب ويطلب منهم الأمر بالمعروف والنهي عن

17- ابن القطان: أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود مكي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990 ، ص72-73 ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ،ص 104-105.
18- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص 29.
19- المهدي: محمد بن تومرت ، أعز ما يطلب ، تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم، الرباط ، مؤسسة الغني، 1997 ، ص 297- 298.
20- ابن القطان ، نظم الجمان ، ص124-125.
21- ابن القطان ، نظم الجمان ، ص 125.
22- ابن العماد الحنبلي : الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بم محمد العكري الدمشقي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط ، ج6 ، بيروت ، دار ابن كثير ، 1990 ، ص117.
23- **ملالة**: قرية قرب بجاية على ساحل بحر المغرب: ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ، معجم البلدان، ج5 ، بيروت، دار صادر ، د.ت ، ص 189.
24- أمراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، ص177 ؛ علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص20 .

المنكر فتمكن بهذه الدروس من أن يجمع حوله طلاب كثيرون وشاع خبره فذاع صيته بين العامة.[25] خاصة عندما نزل في مدينة مراكش فقد كان في هذه المدينة أكثر عنفا حيث أخذ يعمل بمبادئ حركته بين الناس وفى الأسواق فكان يريق الخمر ويكسر آلات الطرب من غير إذن أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين (سنة 500-537هـ/1107-1143).[26]

زاد الأمر على حده عندما قام ابن تومرت بتوبيخ أخت الأمير التي رآها في موكبها مع بعض جواريها سافرات فعاب على المرابطين سفور نساءهم ولبس رجالهم اللثام وأمرهن بستر وجوهن مما أدى إلى وقوع الهرج والاضطراب بين الناس فلما علم الأمير بهذه الحادثة.[27] طلب من فقهاء المرابطين القيام بمناظرته في مدينة مراكش فتمكن من التغلب عليهم جميعا فلما لم يتمكنوا من مجاراته أخذوا يكيدون له عند الأمير فطلب منه الخروج من المدينة.[28]

وفى (سنة 514هـ/1120م) وصل ابن تومرت وأتباعه إلى مدينة تنملل بإشارة من الشيخ عبد الحق بن إبراهيم الذي التقاه في مدينة اغمات[29] واقترح عليه الذهاب إلى هذه المدينة لحصانتها وفيها يجد من يسانده ضد المرابطين. ومن أجل القيام بحركته قام هو وأصحابه بخلع بيعة أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين وأخذ في نشر دعوته في هذه المنطقة حيث كسب الكثير من الأنصار وانضمت إليه قبيلته هرغة وبذلك أصبحت "قبائل مصامدة الجبل بدون استثناء العمود الفقري لدعوة ابن تومرت الدينية والسياسية بصفة خاصة وللدولة الموحدية بصفة عامة".[30]

بدأ ابن تومرت في تنظيم حركته حتى يتمكن بها من القيام على الدولة المرابطية فقسم إتباعه إلى عدة طبقات وجعل لكل طبقة وظيفة خاصة بها أهمها طبقة العشرة وهم أول من بايعه وآمن بآرائه واتخذ منهم وزراء لاستشارتهم في مهام الأمور وتنفيذ أوامره ويسمون أهل الجماعة. ثم تأتى بعد هذه الطبقة طبقة الخمسين وهم الذين اعتنقوا مبادئ ابن تومرت بعد العشرة ومكونة من خمسين رجلا تأتى أهميتها بعد طبقة العشرة. ثم طبقة السبعين وتجمع أبرز رجال القبائل وهذه الطبقات الثلاث موكل إليها أمر الدعوة والقيادة وتنفيذ الأحكام وغيرها من أمور الحكم.[31]

وقد شبه أحد المؤرخين المحدثين هذه الطبقات الثلاث بقوله: "فجماعة العشرة تشبه في عصرنا الحاضر هيئة مجلس الوزراء، وجماعة الخمسين تشبه أعضاء مجلس الشيوخ وجماعة السبعين تشبه مجلس النواب في الحكومات البرلمانية، وكان هذا النظام هو الأساس الذي قامت عليه

25- صالح صادق السباني ، ليبيا أثناء العهد ، ص 86 .

26- محمد الأمين محمد و محمد علي الرحماني ، المفيد في تاريخ المغرب،الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ب.ت ، ص134.

27- محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، ص 169 .

28- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص174-175 .

29- **أغمات**: مدينة تقع بالمغرب الأقصى وهي مدينتان تسمي احدها أغمات إيلان والأخرى أغمات وريكة وبينهما ثمانية أميال. البكري:أبي عبد الله عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، ب.ت ، ص152-153 .

30- صالح صادق السباني ، ليبيا أثناء العهد ، ص 87 .

31- عبد الله علي عيلام ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، الجزائر ، وزارة الثقافة ،2007، ص67-68 ؛ أمراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، ص 228-233 .

الدولة الموحدية".[32] ثم تأتى بعد هذه الطبقات الثلاث طبقة الطلبة والحفاظ وغيرها من الطبقات الأخرى.[33]

وفى (سنة 515هـ/1121م) تمت بيعه ابن تومرت من قبل أتباعه وأول المبايعين له كان عبد المؤمن بن على وتلقب بلقب المهدي وجعل أساس حركته التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفى (سنة 517هـ/ 1123م) بويع المهدي مرة أخرى وقد أطاعه أتباعه إلى درجة كبيرة[34] قال عنها المراكشي أنه: "لو أمر أحدهم بقتل أبيه وأخيه أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء".[35] أطلق المهدي على أتباعه الذين بايعوه اسم الموحدين لأنهم أول من تحدث في التوحيد وعلم الكلام بالمغرب كما سماهم المؤمنين لأنه يرى أنه ليس على وجه الأرض من يؤمن مثل إيمانهم كما أنه أطلق على المرابطين اسم المارقين المبذلين[36] وذلك لما قال لأصحابه:"اقصدوا هؤلاء المارقين المبذلين الذين يسمو بالمرابطين".[37]

وفى (سنة 516هـ/1122م) بدأت المواجهات العسكرية مع المرابطين وكان أغلب جيش المهدي مكون من المصامدة وسكان تينملل[38] حيث بدأت المرحلة الأولى من القتال بين الطرفين بقيام المرابطين بإرسال الحملات الواحدة تلو الأخرى إلى الموحدين في جبالهم تمكن الموحدون من تحقيق انتصارات حاسمة في أغلب الأحيان لتوفر الحماس عندهم وكثرة الأنصار إضافة إلى قصر خطوط الإمدادات والتموين "وذلك على عكس الحال عند المرابطين الذين كانوا يحاربون في ظروف صعبة للغاية".[39]

تمكن الموحدون من هزيمة المرابطين بقيادة والي السوس أبى بكر محمد اللمتونى فبعد أن لجأ إلى جبل إيجليز تبعه المرابطون إليه ودارت فيه معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة الجيش المرابطى الذي هرب أغلب أفراده إلى مراكش فكان لهذا النصر أثر بالغ في ذيوع صيته وازدياد شعبيته وتقوية الروح المعنوية لجنده .كما أنها أدت إلى تحرك المرابطين ضد الموحدين للقضاء عليهم ولاستعادة هيبة جيشهم المهزوم.[40] فجهز الأمير علي بن يوسف جيشاً كبيراً جعل على قيادته أخيه إبراهيم فتمكن الموحدون من هزيمته ، ثم تمكنوا من هزيمة جيشا آخر للمرابطين وقتلوا الكثير من أفراده.[41]

نتيجة لكثرة الجيوش التي كان المرابطون يرسلونها إلى الموحدين والتي دائما ما تمني بالفشل مل جند الدولة المرابطية من هذه الحروب ودخلهم الذعر والرعب من الموحدين وصمودهم

32- عبد الله علي عيلام ، الدولة الموحدية بالمغرب ، ص 68 .
33- للمزيد عن الطبقات راجع: ابن القطان ، نظم الجمان ، ص82-87 ؛ أمراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، ص 233-236 .
34- أحمد عودات وآخرون ، تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري ، اربد ، دار الأمل للنشر والتوزيع، 1989 ، ص 104-105.
35- المراكشي ، المعجب ، ص 164 .
36- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ب.ت ، ص692-693 .
37- المراكشي ، المعجب ، ص 165 .
38- **تينملل**: مدينة تقع بالمغرب الأقصى على بعد كيلو من مدينة مراكش وبها يوجد قبر المهدي وخليفته عبد المؤمن. مجهول ، الحلل الموشية ، ص112 .
39- أمراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، ص 246 .
40- صالح صادق السباني ، ليبيا أثناء العهد ، ص 88-89 .
41- مجهول ، الحلل الموشية ، ص110-111 .

في وقت شعر فيه جند الموحدين بارتفاع الروح المعنوية لهذه الانتصارات.[42] ويقول أحد المؤرخين أن هذه المعارك الدامية كانت مقدمة للمعركة الفاصلة بين الطرفين "فالوصول إلى أسوار مراكش لم يتم بسهولة بل كلف الموحدين اختراق كل الخطوط الدفاعية التي أقامها المرابطون وحصنوها بالقلاع .. صمم ابن تومرت على القضاء على المرابطين بإسقاط عاصمتهم مراكش فأخذ يستدعى القبائل إلى تينملل ليحشدهم ويوجههم إلى ذلك الهدف المنشود".[43]

وفى (سنة 518هـ/1124م) قام المهدي بنقل مقر حركته من إيجليز إلى تنملل والسبب في نقله لمقر حركته هو حصانة مدينة تنملل وحسن موضعها فقد عمل على تقسيم أرضها بين أصحابه ليبنوا فيها دورهم وبني حول المدينة سورا كبيرا لحمايتها وشيد على رأس الجبل حصنا حتى يتمكن من خلاله اكتشاف ما وراء الجبل فقد كان الدخول إلى هذه المدينة الحصينة صعبا وعسيرا.[44] وفى (سنة 519هـ/1125م) قام المهدي في هذه المدينة بحركة التمييز وهي الحركة التي أدت إلى استئصال العناصر المشاغبة من قبائل المصامدة من جيشه.[45]

وفى (سنة 524هـ/1129م) جهز المهدي جيشا بلغ تعداده أربعين ألفا تقريبا من أتباعه بقصد الهجوم على عاصمة المرابطين مراكش وطلب من أنصاره أن يذهبوا إلى محاربة المرابطين إن لم يعترفوا بأنه الإمام المعصوم وجعل على رأس هذا الجيش عبد المؤمن بن على وقال لهم: أنتم المؤمنون وهذا أميركم ومنذ ذلك اليوم استحق عبد المؤمن لقب أمير المؤمنين.[46]

خرج جيش الموحدين إلى مراكش وعسكر في مكان يعرف باسم البحيرة خارج مراكش وهناك خرجت جيوش المرابطين بقيادة الزبير بن على بن يوسف فدعاهم عبد المؤمن إلى ما يدعو إليه المهدي بن تومرت[47] عندما قال للجيش المتوجه إلى هذه المعركة: "فادعوهم إلى إماتة المنكر وإحياء المعروف وإزالة البدع والإقرار بالإمام المهدي المعصوم فإن أجابوكم فهم إخوانكم لكم ما لهم وعليهم ما عليكم وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم".[48]

يبدو أن المرابطين كانوا مستعدين لهذه المعركة جيدا حيث تمكنت قواتهم من هزيمة الموحدين هزيمة نكراء فقد قتل فيها الكثير من أتباع المهدي خاصة من أهل العشرة ومنهم القائد البشير الونيشريشى.[49] في الوقت الذي كان فيه المهدي يعانى من المرض فلما علم بهذه الهزيمة

42- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، 1990 ، ، ص265.

43- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص 60.

44- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب ، ص265-266.

45- للمزيد عن حركة التمييز راجع : سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ج5 ، ص 241-242.

46- المراكشي ، المعجب ، ص 165.

47- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص693-694.

48- المراكشي ، المعجب ، ص 165.

49- ابن عذارى: محمد بن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين ، تحقيق د.محمد إبراهيم الكتامي ومحمد بن تاويت ومحمد زبير عبد القادر زمامه ، بيروت والدار البيضاء، دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1985 ، ص76 ؛ البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص39-40 ؛ المراكشي ، المعجب،ص165 للمزيد عن معركة البحيرة راجع:ابن القطان،نظم الجمان، ص160-162 ؛ المراكشي،المعجب،ص165-166 ؛ مجهول،الحلل الموشية، ص81.

سأل عن عبد المؤمن فلما علم أنه حي أكد لأصحابه أن الأمر باق طالما بقى عبد المؤمن وقال لهم: "منذ عاش عبد المؤمن بقى الأمر".[50]

وقد وصف المراكشي هذه الهزيمة بقوله: "فانهزم المصامدة وقتل منهم خلق كثير ونجا عبد المؤمن في نفر من أصحابه فلما جاء الخبر لابن تومرت قال: اليس قد نجا عبد المؤمن، قالوا: نعم، قال: لم يفقد أحد".[51] ويقول البيذق عن نجاة عبد المؤمن: ".. فأسرعت حتى وصلت المعصوم فأعلمته فقال لي: عبد المؤمن في الحياة، قلت نعم! قال لي: الحمد لله رب العالمين، قد بقى أمركم هل جرح؟ قلت شج خده الأيمن فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الأمر باق، ثم قال لي: أرجع إليه وقل له: الأمر باق ولا تجزعوا فرجعت حتى لقيته فأعلمته ففرح وفرحنا".[52] كانت الصدمة قوية على المهدي فزاد عليه مرضه الذي كان يعانى منه فلم يستطيع تحمل هذا النبأ فمات في داره في نفس العام ودفن في داره بتنملل.[53] تاركا حربا مشتعلة بين أنصاره مع أعدائه المرابطين من أجل إظهار المبادئ التي يدعو إليها وآمن بها أصحابه.[54]

وخوفا على هذه الحركة من الفشل بعد وفاة صاحبها قام عبد المؤمن بن على وأبو جعفر عمر الهنتاتى بإخفاء خبر موت سيدهم لمدة ثلاث سنوات فلم يعلنوا هذا الخبر إلا (سنة 527هـ/1133م) بعد أن تمكن عبد المؤمن من أن يكسب ثقة قبيلة المصامدة وتأكد بأن السلطة كلها أصبحت في يده فأظهر نفسه على أنه منفذ لإرادة المهدي الذي أوصى بأن يخلفه عبد المؤمن الذي اتخذ لنفسه لقب خليفة.[55] ولتبدأ بعد ذلك المرحلة الثانية من قيام الدولة الموحدية.

- قيام الدولة الموحدية بقيادة عبد المؤمن بن علي:

ينسب عبد المؤمن بن على إلى أسرة بربرية ترجع إلى قبيلة كومية ولد في قرية تسمى تاجرا بالقرب من تلمسان اختلف المؤرخون في نسبه فمنهم من يرفعه إلى نسب النبي صلي الله عليه وسلم ومنهم من ينسبه إلى البربر ويرى أحد المؤرخين "إن عبد المؤمن بربري الأصل وقد حمله على تمسكه بالمضرية مقتضيات الخلافة الموحدية المهدوية وربما دفعه إلى هذا التمسك ما قال الكثير من مؤرخي البربر من أن البتر جميعا ينتمون إلى قيس عيلان بن مضر".[56]

50- ابن صاحب الصلاة:عبد الملك بن محمد ، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1987 ، ط3 ، ص454 .

51- المراكشي ، المعجب ، ص 165 .

52- البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص40 .

53- البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص43 ؛ ابن القطان ، نظم الجمان ، ص167 ؛ ابن عذارى،البيان المغرب، ص84 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص180.

54- حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية ، ص40-41 .

55- عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ ، مج2 ، ج3 ، ص200-201 .

56- عبد الله علي عيلام ، الدولة الموحدية ، ص 82-85 .

بعد وفاة المهدي وإخفاء أمر موته كان لابد من رجل يقوم مقامه خاصة وأن هزيمة البحيرة قد أثرت في أنصاره وكان اختيار المهدي لعبد المؤمن أميرا لقيادة الجيش دوراً كبيراً في تسهيل مبايعه الموحدين له بالخلافة.[57] على حسب قول المراكشي: أن عبد المؤمن قام بالأمر وبايعه المصامدة واتفق على تقديمه من الجماعة ثلاثة أشخاص هم عمر بن عبد الله الصنهاجى وأبى حفص عمر بن ومزال الهنتاتى، وعبد الله بن سليمان فوافقهم على هذه المبايعة سائر أهل الجماعة وأهل الخمسين وباقي الموحدين.[58]

قام الأمير الجديد بعد أن تولى أمر أصحاب أستاذه المهدي بتنظيم شئونهم وأخذ يؤلف قلوبهم ويحشد جموعهم ويستنفرهم للحرب من أجل إكمال الرسالة التي بدأت على يد سيده.[59] وعلى الرغم من ذلك فقد كانت مهمته صعبة جدا إذ كان يلزمه القضاء على دولة المرابطين ثم ضم المغربين الأوسط والأدنى إلى الغرب الأقصى حتى يتمكن من تحقيق وحدة المغرب تحت حكم دولة الموحدين ومما شجعه على المضي قدما في مشروع المهدي انضمام كل القبائل الجبلية إليه فزاد أتباعه وأخذت القبائل التابعة للمرابطين تنفض من حولهم وتجتمع على طاعة عبد المؤمن بن على.[60]

جهز عبد المؤمن جيشا قوامه ثلاثون ألفا (سنة 526هـ/1132م) توجه به إلى قلعة تازاجورات فتمكن من هزيمة الحامية المرابطية الموجودة فيها واستولى عليها وقتل من المرابطين ما يقرب من العشرين ألفا ثم سار إلى درعه وتمكن من الاستيلاء عليها وعلى غيرها من القرى في (سنة 527هـ/1133م) أعلنت البيعة العامة لعبد المؤمن ومنذ هذا العام وحتى (سنة 533هـ/ 1139م) تمكن الموحدون بقيادة عبد المؤمن من الاستيلاء على العديد من المواقع المرابطية وتمكنوا من استمالة الكثير من أنصارهم وهزموا العديد من جيوشهم.[61] لذلك لما تفاقمت هجمات الموحدين وكثرت هزائمهم المرابطين استوجب الأمر تصديهم لهذا الخطر الداهم فأرسل الأمير على بن يوسف ابنه تاشفين على رأس جيش لقتال الموحدين (سنة 533هـ/ 1139م)

اصطدم الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن على بجيش تاشفين في موضع يعرف باسم بلاد حامة تمكن فيها الموحدون من تحقيق النصر على المرابطين.[62] ثم تمكن الموحدون من تحقيق عدة انتصارات عليهم ما بين سنتي (533-535هـ/1139-1191م) وفى (سنة 535هـ/ 1141م) خرج عبد المؤمن على رأس جيش كبير لغزو المغرب الأوسط وفى أثناء هذه الغزوة توفى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (سنة 537هـ/1143م).[63]

57- يوسف اشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة وعلق عليه محمد عبد الله عنان ، ج1، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1996 ، ص204-205 .

58- المراكشي ، المعجب ، ص166-167 .

59- محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، ص225 .

60- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص 696 .

61- محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، ص225-230 .

62- ابن القطان ، نظم الجمان ، ص263-265 ؛ ابن عذارى،البيان المغرب،ص15.

63- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ،ص696 ؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ،ص230-241.

خلف تاشفين (سنة 537-539هـ/1143-1145م) والده في حكم دولة المرابطين وكان قبل ذلك متفرغا لقتال الموحدين فلما تولى أمور الدولة انشغل عنهم لبعض الوقت من أجل ترتيب شئون دولته الداخلية والمحافظة على هيبتها الخارجية خاصة وأن النورمان عرفوا ما تعانيه دولته من مشاكل فقاموا بالهجوم على مدينة سبته (سنة 538هـ/1144م) بأسطول مكون من خمسين سفينة حربية تقريبا وعلى الرغم من تمكن المرابطين من التصدي لهم وهزيمتهم إلا أن هذه الأمور قد أدت إلى تخفيف الضغط على الموحدين خاصة لما قامت في الدولة المرابطية خلافات بين قبيلتي لمتونه ومسوفه انتهت بانضمام مسوفه إلى الموحدين.[64]

وفى (سنة 539هـ/1145م) تمكن الموحدون من إخضاع العديد من حلفاء المرابطين ووصلوا إلى تلمسان حيث تمكنوا من هزيمة جيش المرابطين الذي يقوده الربرتير وتمكنوا من دخولها ثم قاموا بحصار مدينة وهران التي كان بها الأمير تاشفين بن على والذي فر منها فتمكن الموحدون من اقتحامها وفى أثناء هروبه وقع الأمير تاشفين عن فرسه فمات فلما وجده الموحدون أرسلوا برأسه إلى تنملل، وقام الموحدون بقتل من وجدوه من المرابطين في تلمسان.[65]

أدى موت الأمير تاشفين إلى انهيار دولة المرابطين المتداعية والتي أصبح الكثير من أراضيها في أيدي الموحدين وفى محاولة منهم للحفاظ على هذه الدولة قاموا بتعيين إبراهيم بن تاشفين مكان والده فنازعه عمه إسحاق بن علي على مكانه فتمكن من تولى أمر الدولة بدلا عنه.[66] "وهكذا عجلت الثورة حول العرش بسقوط دولة المرابطين التي بدأ انهيارها واضحا في الأفق".[67] سار الجيش الموحدى نحو مدينة فاس التي كانت تمثل مع مدينة تلمسان مواقع حصينة للمرابطين ومعقل معهم للانطلاق نحو الهجوم على القوات الموحدية لذلك بعد أن تمكن عبد المؤمن من السيطرة على تلمسان توجه نحو هذه المدينة حتى يتمكن من اتخاذها مع مدينة تلمسان قاعدتين تنطلق منهما الجيوش الموحدية للهجوم على المغرب الأقصى والأندلس.

بث الموحدون عيونهم في المنطقة ليتعرفوا على حجم القوات المرابطية ثم قاموا بحصارها وفى أثناء الحصار أرسل عبد المؤمن فرقة تمكنت من الاستيلاء على مكناسه وبعد حصار دام حوالي تسعة أشهر تمكن الموحدون بقيادة عبد المؤمن من الاستيلاء على المدينة (سنة 540هـ/ 1146م).[68] أدى سقوط مدينة فاس في أيدي الموحدين إلى دخول أغلب المدن الأخرى تحت لواء الموحدين الذين لم يتركوا المرابطين كي يستفيدوا من الوقت فأرسل الخليفة عبد المؤمن جيشا إلى الأندلس من أجل إخضاع المدن هناك لدولته وسار هو نحو العاصمة مراكش حتى ينهي آخر معاقل

64- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص76-77 .

65- د.سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب ، ج5 ، ص314-319 .

66- حسن علي حسن،الحضارة الإسلامية،ص42.يرى سعد زغلول عبد الحميد أن آخر أمراء دولة المرابطين هو أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين وليس إسحاق بن على وذلك أن إبراهيم بن تاشفين يكنى بأبي إسحاق فأخطأ المؤرخون في الاسم كما يقول:"والخطأ بين الاسم والكنية يعتبر من الأخطاء الشائعة وهكذا يكون آخر أمراء المرابطين الذي قتله الموحدون هو أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين وليس إسحاق بن على كما يرى معظم المتأخرين من الكتاب".راجع:سعد زغلول عبد الحميد،تاريخ المغرب،ج5،ص334-335.

67- يوسف اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ص211 .

68- جمال أحمد طه ، مدينة فأس في عصري المرابطين والموحدين (448-668هـ /1056-1269م)،الإسكندرية،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،2001،ص97-102.

المرابطين في هذه البلاد وكانت مراكش مدينة حصينة تحميها سلسلة من الحصون القوية فقام الموحدون بضرب الحصار حولها.[69] استمر مدة تسعة أشهر زاد فيه حال المدينة سوءا حتى أن أهلها أكلوا الجيف وانعدم الطعام فأضطر أهلها إلى فتح أبواب المدينة واستسلم المرابطون الذين كانوا بداخلها بمن فيهم الأمير أبى إسحاق إبراهيم الذي أخذ إلى إيجليز حيث قتل فيها وبذلك سقطت مراكش عاصمة المرابطين في أيدي الموحدين (سنة 541هـ/ 1147م).[70] "واستولى عبد المؤمن على جميع المغرب وانقضت منها دولة لمتونه".[71]

بعد تمكن الموحدون من دخول مراكش والقضاء على دولة المرابطين أخذوا يتطلعون إلى المغربين الأوسط والأدنى من أجل تحقيق وحدة البلاد خاصة عندما عرفوا ما تعانيه هذه البلاد من تسلط العرب الهلالية والسليمية وتملك النورمان للمدن في سواحل هذه المنطقة لذلك خرج عبد المؤمن على رأس جيشه من مراكش يريد بجابة عاصمة الحماديين فلما وصل الجزائر خرج إليه الأمير الحسن بن على بن يحيى بن تميم الذي انتقل إليها بعد سقوط المهدية في أيدي النورمان فتلقاه بالترحاب وخرج معه في أجل غزو أفريقية.

ومن الجزائر خرج الخليفة إلى بجابة فتمكن الجيش الموحدى من الاستيلاء عليها وهرب أميرها يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس منها قاصدا صقلية لكي يخرج منها إلى بغداد بعد أن حمل معه ما تمكن من حمله من الأموال. ثم سار الخليفة عبد المؤمن إلى قلعة بني حماد فتمكن من الاستيلاء عليها لذلك قام يحيى بن العزيز الذي عدل عن الهروب إلى بغداد بالنزول في قسنطينة وطلب الأمان من الخليفة عبد المؤمن فأمنه واصطحبه معه إلى مراكش عندما عاد إليها بعد انتهائه من الاستيلاء على قلعة بني حماد (سنة 546هـ/ 1151م).[72]

قام بعض العرب الهلالية والسليمية بإعلان الحرب على الموحدين في هذه البلاد وأعلنوا نيتهم إعادة دولة بني حماد التي قام الموحدون بالقضاء عليها وكان هدفهم من إعلان الحرب خوفهم من الموحدين أن يسلبوا منهم سلطتهم في المشيخات التي تمكنوا من تكوينها في بلاد إفريقية. لذلك اجتمع عدد من شيوخ هذه القبائل مثل محرز بن زياد وجباره بن كامل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسين واتفقوا على أن الموحدين هم عدوهم الذي لابد من مواجهته.[73]

ويقول النويرى: أن هؤلاء العرب لما اجتمعوا على معاداة الموحدين قالوا: "إن جاورنا عبد المؤمن أجلانا من بلاد المغرب وليس الرأي إلا اللقاء معه وأخذه بالجد وإخراجه من البلاد قبل أن يتمكن. وتحالفوا على التعاون والتعاضد وعزموا على لقاءه بالرجال والأهل والمال واتصل الخبر بصاحب صقلية الفرنجى فأرسل إلى أمراء العرب .. يحثهم على ذلك".[74] ومن الكلام السابق نرى

69- يوسف اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ص211-212 .

70- الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص8 ؛ سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب ، ج5 ، ص336-41 .

71- الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص8 .

72- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص706-707 ؛ عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ص 193-198 ؛ رشيد بوروبية ، الدولة الحمادية ، ص102-108 .

73- صالح صادق السباني ، ليبيا أثناء العهد ، ص 128 .

74- النويري ، نهاية الأرب ، ج24 ، ص 305-306 .

محاولة النورمان استغلال الموقف حتى أنهم عرضوا المساعدة بإرسال قوة مكونة من خمسة آلاف مقاتل لمساعدتهم حتى يشعلوا نار الفتنة لاستغلالها لصالحهم واشترطوا على العرب أن يرسلوا لهم رهائن مقابل المساعدة فرفض شيوخ العرب مساعدتهم وقالوا: "لا حاجة بنا إلى نجدته ولا نستعين على المسلمين بغيرهم".[75]

حشد العرب قواتهم وجهز الموحدون جيشهم المقدر بحوالي ثلاثين ألفا يقودهم عبد الله بن عبد المؤمن ولأن العرب يفوقوهم عددا استدرجهم الموحدون إلى الحرب في مكان وعر يفقدهم تفوقهم العددي فوقفت الحرب بين الطرفين في أسطيف وبعد قتال عنيف تمكن الموحدون من هزيمة العرب في (سنة 548هـ/ 1153م).[76]

عمل الخليفة عبد المؤمن على كسب ود هؤلاء الأعراب إلى جانبه فعمل على الاحتفاظ بأسرهم من النساء والأطفال ووكل بهم من يقوم على خدمتهم خارج مراكز وأرسل إلى شيوخهم يطلب منهم المجيء إليه ليستلموا أولادهم ونساءهم فجاءه شيوخهم فسلمهم أسرهم وتمكن بذلك من استمالتهم فكانوا خير عون له خاصة في مسألة تعيين ابنه محمد وليا للعهد من بعده.[77]وبذلك فرضوا سيطرتهم على المغرب الأوسط وأخذوا يتطلعون إلى فرض سيطرتهم على المغرب الأدنى.

ويذكر الناصري: أن سبب مجيء الخليفة عبد المؤمن إلى إفريقية هو طلب الأمير الحسن بن على آخر أمراء بني زيرى منه تحرير هذه البلاد من الاحتلال النورمندى إضافة إلى وصول وفد من أهل أزويلة إلى الخليفة عبد المؤمن طلبوا منه نجدتهم من الفرنجة الذين خربوا مدينتهم واستباحوها وقال لهم: "أبشروا لأنصرنكم ولو بعد حين".[78] ويضيف أحد المؤرخين إلى هذين العاملين عوامل آخري منها ضم إفريقية جزء من مشروع الموحدين في توحيد الغرب الإسلامي تحت سلطانهم.إضافة إلى أن الموحدين كانوا ينوون القيام بعمل حربي في الأندلس فلهذا العمل في الأندلس يتطلب منهم تأمين ظهرهم من النورمان الموجدون في أفريقية. إضافة إلى أن الاضطرابات التي قامت في هذه البلاد ضد النورمان شجعت الموحدين على القيام بالاستيلاء على إفريقية بعد أن جاء الكثير من أهل هذه البلاد إلى الموحدين مستنجدين بهم لتخليصهم من هذا الاحتلال "فهذه العوامل مجتمعة دفعت عبد المؤمن لأن يفتتح المغرب الأدنى".[79]

بدأت جيوش الموحدين في الزحف من مراكش إلى إفريقية (سنة 553هـ/1158م) فوصلت إلى إفريقية (سنة 554هـ/1159م) في جيش قوامه مائة ألف مقاتل حيث وصل تونس[80] فحاصرها برا وبحرا وأرسل إلى أهلها يطلب منهم الطاعة وإعطاءهم الأمان وبذلك تمكن من

75- النويري ، نهاية الأرب ، ج24 ، ص 306 .

76- صالح صادق السباني ، ليبيا أثناء العهد ، ص 129 .

77- النويري ، نهاية الأرب ، ج24 ، ص 306-307 .

78- الناصري ، كتاب الاستقصاء ، ج2 ، ص120-121 .

79- أمراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، ص 313-315 .

80- تونس : مدينة كبيرة بأفريقية على ساحل بحر الروم عمرت على أنقاض مدينة قديمة بناها القائد حسان بن النعمان وهي قصبة بلاد أفريقية. راجع ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص 61-62 .

الاستيلاء عليها.[81] ومن تونس رحل الجيش إلى المهدية التي تحصن بها النورمان فضرب عليها الحصار مدة ستة أشهر تمكن بعدها من الاستيلاء عليها وطرد النورمان منها (سنة 555هـ/ 1160م).[82] عاد بعد ذلك الخليفة عبد المؤمن إلى مراكش "بعد أن أتم إخضاع إفريقية كلها وضمها إلى دولته وأصبحت دولة الموحدين تمتد من طرابلس شرقا إلى السوس الأقصى غربا لأول مرة في تاريخ المغرب منذ أن افتتحها العرب".[83]

وفي الختام يتضح لنا أهمية الدور الديني في قيام هذه الدولة الجديدة التي أرادها المؤسس ابن تومرت أن تعم كامل الغرب الإسلامي فوضع لأصحابه أسس دولة جعل الدين طابعها ولان رغبته قيام دولة بديلة لدولة قائمة لذا نجده لا يتورع عن استخدام الحيل والكذب على الناس من اجل استمالتهم.

ولما قامت الدولة وجدنا أن أول خلفائها ينزع عنها القدسية الدينية فبدلاً من ترك الأمر من بعده شوري نجده يورث الحكم لأبنائه مما يعزز ما ذهبنا إليه أن الدين كان مطية لإقامة دولة جديدة.وما يحسب لهذه الدولة أنها تمكنت من جعل اغلب بلاد المغرب الإسلامي كله تحت سيطرتها وخلصته من الاحتلال النورماندي.

- ثبت المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1 ــ ابن الأثير:عز الدين على بن أبى الكرم ،الكامل في التاريخ ، ج9، تحقيق خيري سعيد ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، ب.ت .

2 ــ ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فأس ، الرباط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، 1972.

3 ــ البكري: أبي عبد الله عبد العزيز،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، ب.ت .

4 ــ ابن خلدون: عبد الرحمن محمد ، تاريخ ابن خلدون المسمي بكتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق د.خليل شحادة مراجعة د. سهيل زكار ، ج6 ، بيروت، دار الفكر ، 2000.

5 ــ الزركشي: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور، تونس ، المكتبة العتيقة ، 1966 ، ط2.

81- مقديش: محمود بن سعيد ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق علي الزواوي ومحمد محفوظ ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1988، المجلد الأول ، ص129- 130 ، ص494-495 ؛ الناصري ، كتاب الاستقصاء،ج2،ص120-121.

82- صالح صادق السباني ، ليبيا أثناء العهد ، ص 134-135 .

83- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص 710 .

6 ــ ابن صاحب الصلاة : عبد الملك بن محمد، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، تحقيق د.عبد الهادي التازي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، 1987 ، ط3.

7 ــ الصنهاجي : أبو بكر بن علي ،أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط ، دار المنصور ، 1971.

8 ــ ابن عذارى: محمد بن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين ، تحقيق د.محمد إبراهيم الكتامي ومحمد بن تاويت ومحمد زبير عبد القادر زمامه ، بيروت والدار البيضاء، دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة للنشر والتوزيع، 1985 .

9 ــ ابن العماد الحنبلي: الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بم محمد العكري الدمشقي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط ، ج6، بيروت ، دار ابن كثير ، 1990.

10 ــ ابن القطان: أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، دراسة وقدم له وحققه محمود علي مكي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990.

11 ــ مقديش: محمود بن سعيد، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواوي ومحمد محفوظ، المجلد الأول، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988.

12 ــ المراكشي: محيى الدين عبد الواحد بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزت، طرابلس، دار الفرجاني، 1994.

13 ــ المهدي: محمد بن تومرت، أعز ما يطلب ، تقديم وتحقيق د.عبد الغني أبو العزم، الرباط ، مؤسسة الغني للنشر، 1997.

14 ــ مؤلف: مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف أندلسي من القرن الثامن الهجري، تحقيق د. سهيل زكار وعبد القادر زمامه، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ، 2001.

15 ــ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار مراجعة عبد العزيز الأهوانى ، ج24 ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1983.

16 ــ ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ، معجم البلدان، ج5، بيروت ، دار صادر ، د.ت.

ثانيا: المراجع:

1 ــ اشباخ: يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وعلق عليه محمد عبد الله عنان ، ج1 ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1996.

2 ــ بروفنسال : ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمود عبد العزيز السالم ومحمد صلاح حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1990.

3 ــ بل: الفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990، ط3.

4 ــ التليسي: خليفة محمد، حكاية مدينة طرابلس لدي الرحالة العرب والأجانب ، ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب، 1997، ط3.

5 ــ حسن: علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1980.

6 ــ خلف الله: ابتسام مرعي، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي (524-936هـ/1130-1529م) القاهرة ، دار المعارف، 1985.

7 ــ سالم : السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ، ب.ت.

8 ــ السباني: صالح صادق ، ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية ، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2006 .

9 ــ شبانه : محمد كمال، الدويلات الإسلامية في المغرب دراسة تاريخية حضارية ، القاهرة ، دار العالم العربي ، ب.ت .

10 ــ الصلابي : علي محمد ، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي دولة الموحدين ، القاهرة ، دار ابن الجوزي ، 2007.

11 ــ طه: جمال أحمد، مدينة فأس في عصري المرابطين والموحدين (448-668هـ/1056-1269م) الإسكندرية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2001.

12 ــ عبد الحميد : سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي الموحدون مصامدة السوس الجباليون ورثة المرابطين تأسيس الدولة وقيامها (500-558هـ/1100-1163م) ج5 ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 2000.

13 ــ عنان : محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين وبداية الموحدين) ج4 ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.

14 ــ عودات: أحمد وآخرون، تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري ، اربد، دار الأمل للنشر والتوزيع ، 1989.

15 ــ عيلام : عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، الجزائر، وزارة الثقافة، 2007.

16 ــ الغناي: امراجع عقيلة، قيام دولة الموحدين، بنغازي،جامعة قاريونس، 1988.

17ــ الغناي: امراجع عقيلة، سقوط دولة الموحدين، بنغازي، جامعة قاريونس، 1988.

18 ــ الفقي : عصام الدين عبد الرؤوف ، تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1990.

19 ــ محمد : محمد الأمين ومحمد علي الرحماني، المفيد في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، دار الكتاب ، ب.ت.

20 ــ موسي: عز الدين عمر، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم ، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، 1991.

21 ــ النجار : عبد المجيد ، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري ، فرجينيا ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1995 ، ط2.

22 ــ النجار: عبد المجيد ، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة 524هـ 1129م حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1983.